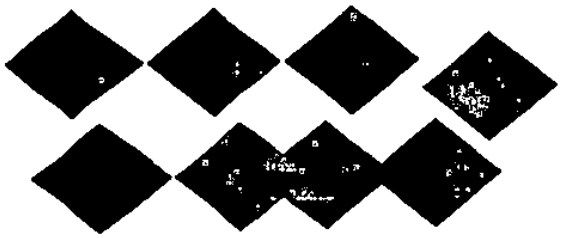

مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

فلسفة التنوير عند محمد حسين هيكل دراسة تحليلية نقدية

د/ حسين حميد عباس بشير

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدَه الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ﷺ ، وبعد .

لقد واجه العالم الإسلامي منذ نهاية القرن الثامن عشر مرحلة حرجة من مراحل تاريخه تتمثل في المدنية الغربية بكل ما فيها من زيغ وانحراف، وبكل ما فيها من تجرد عن الإنسانية وتنكر لها، فمنذ نهاية القرن الثامن عشر إبان الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت(١٧٩٨-١٨٠١م)اتجهت أنظار بعض المصريين إلى الغرب ، وزاد من نفوذ الاتجاه التغريبي في مصر على المستويين النظري والعملي في عهد محمد علي وخلفاءه بعد إرسال البعثات إلى أوروبا، وما قام به المبتعثون بعد عودتهم إلى مصر من ترجمة وتأليف، ونشاط المثقفين العرب والمسلمين النازحين إلى مصر، والمتمثل في تأسيس العديد من الصحف والجرائد والمجلات، ومن هنا نادى بعض المفكرين إلى نقل الحضارة الغربية إلى العالم الإسلامي بكل تفصيلاتها وقيمها، كما دعوا إلى تعميم فنونها، والانحياز إلى ثقافتها، ونموذج تفكيرها الذي يقوم على تناقض العلم والدين، والأخذ بأساليب تربيتها وبكل نظمها في الحكم والسياسة ، ولكن سرعان ما تراجع هؤلاء المفكرين عن هذه الآراء.

ومن هنا فقد جاء هذا البحث مكوناً من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة متضمنة أهم النتائج، وفهرس للمصادر والمراجع على النحو التالي:

- المقدمة- وقد تناولت فيها هدف البحث وغايته ثم هيكلية البحث.
- أما التمهيد- فيشتمل على السيرة الذاتية لمحمد حسين هيكل .
- الفصل الأول- بعنوان(موقف محمد حسين هيكل من القديم)وينقسم إلى مبحثين:
- المبحث الأول- وتناول موقف محمد حسين هيكل من التراث العربي الإسلامي.
- المبحث الثاني- ويعالج موقف محمد حسين هيكل من إنتاج الحضارة العربية والإسلامية.
- وجاء الفصل الثاني- بعنوان (موقف محمد حسين هيكل من الدين وبعض إشكالياته) وينقسم إلى مبحثين :

- المبحث الأول- ويتناول موقف محمد حسين هيكل من الدين .
-المبحث الثاني- ويعالج موقف محمد حسين هيكل من إشكالية العلاقة بين الدين والعلم.
- أما الفصل الثالث- فبعنوان (موقف محمد حسين هيكل من قضايا الحرية) وينقسم إلى مبحثين :
- المبحث الأول- ويشتمل على موقف محمد حسين هيكل من الحرية السياسية.
- المبحث الثاني- ويتناول موقف محمد حسين هيكل من الحرية الاجتماعية.
- الخاتمة وقد اشتملت على أهم النتائج .
- المصادر والمراجع.

التمهيد

محمد حسين هيكل

ولد محمد حسين هيكل في أغسطس ١٨٨٨م، وهو الطفل البكر للشيخ حسين سالم هيكل، أو حسين أفندي، كما أصبح يدعى فيما بعد حين تحول من الزي الشرقي إلى الزي الأوربي(١). بكر به أبوه إلى كتاب الشيخ إبراهيم جاد بالقرية، فحفظ القرآن، ثم بعث به إلى القاهرة، فحصل على الشهادة الابتدائية عام ١٩٠١م من مدرسة الجمالية، وانتقل إلى الخديوية(٢)، فأتم فيها دراسته الثانوية، وحصل منها على البكالوريا عام ١٩٠٥م، وأزمع السفر إلى إنجلترا لدراسة الهندسة، وفي ذلك العام توفي جده الشيخ سالم هيكل، وجاء أحمد لطفي السيد للعزاء، وجرى الحديث فيما جرى حول الاتجاه الذي يختاره محمد لدراسته، واختار له لطفي السيد دراسة الحقوق فأرسله أبوه إلى الخارج للحصول على الدكتوراه بعد إتمام دراسة الحقوق في مصر، فحصل على الدكتوراه من السوربون برسالة عن "دين مصر العام" عام ١٩١٢م(٢).

عاد محمد حسين هيكل إلى مصر يحمل لقب دكتور في القانون، فيكون أول من يحمل هذا اللقب العلمي من بني مصر جميعاً، فيشتغل بالمحاماة، ويفتتح لذلك مكتباً في المنصورة، ولا تصرفه شواغل عمله الجديد عن قراءاته المتصلة في الفلسفة والأدب والتاريخ والسياسة، وتندبه الجامعة محاضراً في مدرسة الحقوق، وكان لطفي السيد رئيس تحرير جريدة الجريدة، يفسح مجالاً للشباب في الجريدة، فكتب محمد حسين هيكل أول مقال صحفي وكان عن حرية المرأة(٣).

وحين تحتجب الجريدة عام ١٩١٥م يعز على كتابها أن تطوي صحيفتهم، فيتفق جميعهم: هيكل، ومصطفى عبد الرازق، وطه حسين، ومنصور فهمي مع الأستاذ عبد الحميد حمدي، على تحرير جريدة "السفور"(٤).

---

(١) حسين فوزي النجار، هيكل وحياة محمد، منهج في دراسة التاريخ الإسلامي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص ٢٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٩.

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤، ٣٥.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٦.

ولا يقف محمد حسين هيكل على السفور وحدها، كما كان في الجريدة، بل يكتب مقالات عن "القدرية والجبرية" ينشرها في المقتطف عام ١٩١٧م[١].

وبصدر تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م، تكون حزب الأحرار الدستوريين برئاسة "عدلي يكن"، وتصدر جريدة "السياسة" لسان حاله، ويتولى تحريرها الدكتور محمد حسين هيكل، وحملت كما حملت الجريدة من قبل راية التجديد، ووقفت تدافع عن حرية الفكر، وضمت "السياسة" باقة من رجال الفكر ازدهت بأقلامهم صفحاتهم، وحين ضاقت عن أن تسع نفثات أقلامهم صدرت السياسة الأسبوعية ١٩٢٦م، وأصبحت السياسة الأسبوعية بعد قليل من صدورها مدرسة الفكر المعاصر والاتجاهات الفكرية الجديد[٢].

وفي ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٧م اختير محمد حسين هيكل وزيراً للمعارف، وفيها وضع قواعد اللامركزية بإنشاء المناطق التعليمية ، فإنه يؤمن بهذا النظام، ويعتقد أن الخير كل الخير في أن تكون الإدارة الإقليمية والهيئات النيابية المحلية صاحبة الشأن في أمور الإقليم كله، فيبدأ تنفيذ ذلك في وزارة المعارف[٣].

وثوى هيكل إلى داره وإلى كتبه وقراءاته وتآليفه حتى وافاه الأجل ٨ من ديسمبر ١٩٥٦م[٤].

ومما تجدر الإشارة إليه أن محمد حسين هيكل من أوائل من بشروا بالقومية على النمط الغربي، ووقف مع لطفي السيد ضد رابطة "الجامعة الإسلامية" على اعتبار أنها استعمار، وذلك منذ أن كان محرراً بجريدة "الجريدة"، وقد شغلته بالدعوة إلى الفرعونية، حيث كان يطمع في أن يصل حاضر مصر بماضيها التليد، فالمصريون المعاصرون هم أقرب إلى أجدادهم الفراعنة منهم إلى الرومان، فهناك تواصل بين مصر الفرعونية ومصر الحديثة[٥].

غير أن محمد حسين هيكل بدأ منذ أواخر العشرينات يتحول عن هذه الأفكار، وبدأ مشروعه الإسلامي، حيث نشر سنة ١٩٣٠م كتابه "حياة محمد"، ثم كتابه الفاروق عمر،

---

(١)حسين فوزي النجار، هيكل وحياة محمد ، ص ٣٦، ٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٠، ٤١.

(٣)المرجع السابق، ص ٤٢، ٤٣.

(٤)المرجع السابق ، ص ٤٣، ٤٤.

(٥) محمد عمارة، فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ٤٦.

وفي سنة ١٩٣٥م، نشر كتابه "في منزل الوحي"، وقد نقد مسيرته الفكرية نقداً شجاعاً، ويقول في ذلك: «وقد حاولت أن أنقل لأبناء لغتي ثقافة الغرب المعنوية وحياته الروحية؛ لنتخذهما جميعاً هدىً ونبراساً، ولكني أدركت بعد أنني أضع البذر في غير منبته، فإذا الأرض تهضمه، ثم لا تتمخض عنه، ولا تبعث الحياة فيه، وانقلبت ألتمس في تاريخنا البعيد في عهد الفراعين مونلاً لوحي هذا العصر ينشئ فيه نشأة جديدة، فإذا الزمن، وإذا الركود العقلي قد قطعا ما بيننا وبين ذلك من سبب قد يصلح بذراً لنهضة جديدة، ورأيت فرأيت أن تاريخنا الإسلامي هو وحده البذر الذي ينبت ويثمر، ففيه حياة تحرك النفوس، وتجعلها تهتز وتربو، ولأبناء هذا الجيل في الشرق نفوس قوية خصبة تنمو فيها الفكرة الصالحة لتؤتي ثمرها بعد حين[١].

الفصل الأول – موقف محمد حسين هيكل من القديم :

المبحث الأول- موقف محمد حسين هيكل من التراث العربي الإسلامي :

لقد تبلورت اتجاهات المفكرين حول قضية التراث في ثلاثة اتجاهات رئيسية:

أولاً- "الاتجاه السلفي" وهو الاتجاه الذي يرى أن تقدم الأمة إنما يتأتى عن طريق الإسلام الصحيح النقي من الشوائب والانحرافات، والذي لا يتعارض مع الأصول الأساسية من قرآن وسنة وفكر إسلامي صحيح، ولا يتعارض مع الفطرة[٢].

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الاتجاه هو الذي تصدى لكل محاولات التغريب، ورفض كل أشكال الصبغة الغربية.

ثانياً- "الاتجاه التغريبي" وهو الاتجاه الرافض للتراث، ويرى أصحابه ضرورة جعل الغرب الحضاري المنبع الرئيسي الذي يجب أن تعتمد عليه الثقافة العربية، ليس هذا فحسب، وإنما يذهب أنصار هذا الاتجاه إلى أن التراث من أخطر معوقات النهضة التي لا يمكن تحقيقها إلا باتخاذ الغرب الحضاري المثل الأعلى للحضارة الإنسانية[٣] .

---

(١) محمد حسين هيكل، حياة محمد، دار المعارف، ط٩، ٢٠٠٢م، ص ٢٣.

(٢) علي خليل أبو العينين، أصول الفكر التربوي الحديث بين الاتجاه الإسلامي والاتجاه التغريبي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢٨٥.

(٣) محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج١، مكتبة الآداب ومطبعتها، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٣٠.

ثالثاً- الاتجاه التوفيقي: وهو الاتجاه الذي يقف موقفاً وسطاً بين الاتجاه السلفي والاتجاه التغريبي، فيسعى إلى التوفيق بينهما والجمع بين مزايا كل منها، لذا سُميّ هذا الاتجاه بالإصلاحي أو التوفيقي.

فالتجديد عند أنصار هذا الاتجاه يقوم على التوفيق بين الاتجاه السلفي والاتجاه التغريبي، فلا هو تقديس للغرب، ولا هو تقديس لكل ما هو قديم، بل هو انتقاء من القديم ومسايرة الجديد[1].

ومما تجدر الإشارة إليه أن لمحمد حسين هيكل موقفين من التراث العربي الإسلامي:

أما الموقف الأول- فيمثل المرحلة التغريبية من فكره، والتي رفض فيها التراث واعتبره من معوقات النهضة التي لا يمكن تحقيقها إلا باتخاذ الغرب الحضاري المثل الأعلى للحضارة الإنسانية.

والموقف الثاني- يمثل المرحلة المعتدلة من فكره:

موقف هيكل التغريبي من التراث : يظهر لنا موقفه في مهاجمته للتراث، مؤكداً على أن التراث الشرقي يعبر عن ثقافة بالية لا تصلح لبناء نهضة الحاضر أو المستقبل، لذلك يجب التخلي عنه حتى لا يقف عائقاً دون تحقيق النهضة وأن حضارة الغرب إنما هي الحضارة الواجب أن تنتقل إلى الشرق إذا أريد بالشرق أن يخرج من جموده[2]، وحجته في ذلك بأن حركة التجديد التي تتناول أمم الشرق جميعاً دليل على عمق إحساسها بأن النظام القديم بل المدنية القديمة التي كانت آخذة بهما لم يعودا صالحين للجهاد والتعاون مع أمم الأرض الأخرى؛ لأنهما قد قاما بما أريد لهما أن يقوما به في العصر الذي كانا فيه ملاك قوة الأمم وتقدمها»[3].

- أما موقف محمد حسين هيكل المعتدل من التراث العربي الإسلامي: فقد حاول فيه المزاوجة بين التراث والمعاصرة، فلا يرفض التراث أو الماضي، بل يجعل منه الأساس الذي تقوم عليه النهضة، ويؤكد ضرورة الاستفادة منه في بناء الحاضر، وقد عبر عن

---

(1) محمد عمارة، الاستقلال الحضاري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥م، ص ٢٠.

(2) محمد حسين هيكل، الشرق الجديد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٥٠.

(3) المرجع السابق، ص ١٠٦، ١٠٧.

هذا قائلاً: «إنما يكون الإصلاح بالاستعانة بما في الماضي من حسنات؛ لتسري إلى المستقبل، وتنمو فيه، وبمحاربة ما فيه من مفاسد محاربة استئصال وإبادة»[1].

ويذهب هيكل إلى أنه إذا اتصل القديم والحديث وتضامنا، نشأت عن ذلك حيوية قوية وروح معنوية ناشطة هي التي تقوم أساساً لكل حضارة من الحضارات، وبدونها تتداعى الحضارة وتنهار[2]، ويوضح محمد هيكل أن الأساس الذي يجب أن تقوم عليه المدرسة الحديثة في الجديد والتجديد هو الاعتماد على الماضي، وإيجاد صلة بينه وبين الحاضر، ومؤكداً على أن كل نهضة، لابد لها من دعامة تقوم عليها[3].

ثم ينتقل هيكل إلى مرحلة أخرى، فيرى أن قطع الصلة بين القديم والجديد، أو الماضي والحاضر هو سر تخلف شعوب الشرق، والشعب المصري خاصة، وقد عبر عن هذا قائلاً: «إن الأمة التي لا ماضي لها لا مستقبل لها»[4]، ويقول أيضاً: «ذلك بأنهم يعلمون أن كل حاضر لا يتصل بالماضي وشيك الزوال، ويحكم هيكل على نفسه وكل دعاة التجديد بالفشل حينما أرادوا قطع الصلة بين الحاضر والماضي، ويرى أن الماضي تراث يحق أن تفخر به، وأن نعيد إلى حياتنا وحياة أبنائنا ذكره لنزداد به قوة ومتاعاً وسعادة[5].

---

(1) محمد حسين هيكل، في أوقات الفراغ، الكتاب الأول، المطبعة العصرية، (د.ت)، ص ١٠٢.

(2) محمد حسين هيكل، ثورة الأدب، مطبعة السياسة، القاهرة، ١٩٣٣م، ص ١٥٥، محمد حسين هيكل، الصديق أبو بكر ﷺ، دار المعارف، مصر، ط٨، ١٩٧٩م، ص ١٠.

(3) محمد حسين هيكل، التجديد في الأدب وكيف أفهمه؟ مقال في مجلة "الهلال"، ج٨، السنة ٤١، ٨ صفر ١٣٥٢هـ، ١ يونيو ١٩٣٣، ص ١٣٦.

(4) محمد حسين هيكل، في منزل الوحي، دار المعارف، ط٩، ٢٠٠٢م، ص ٢٤.

(5) محمد حسين هيكل، ثورة الأدب، ص ٥٤، ١٤٩.

المبحث الثاني- موقف هيكل من إنتاج الحضارة العربية والإسلامية :

إن لمحمد حسين هيكل موقفين من إنتاج الحضارة العربية والإسلامية:

أولاً- موقف هيكل التغريبي من إنتاج الحضارة العربية والإسلامية :

يعد موقف محمد حسين هيكل التغريبي من نتاج الحضارة الإسلامية والعربية امتداداً لموقفه التغريبي من التراث الإسلامي والعربي، فيذهب محمد حسين هيكل إلى أن الأدب العربي عبارة عن مجموعة متميزة من الشعر والنثر، وليس للشرق العربي أدب يميزه عن الأدب القديم أو عن الأدب الحديث [1].

ليس هذا فحسب وإنما ذهب هيكل إلى أن اختلاط العرب بالفرس واليونان والرومان وبأمم شمال أفريقيا وبالأندلس وصقلية استحدثت الموشحات الأندلسية، واستحدثت في النثر شيء كثير وزادت بذلك ثروة اللغة العربية في ألفاظها، وفي علومها، وفلسفتها، وفي أدبها زيادة هي في تاريخ هذه اللغة فخر تتفاخر نحن به حتى اليوم[2].

ثانياً- موقف هيكل المعتدل من إنتاج الحضارة العربية والإسلامية:

إن موقف محمد حسين هيكل المعتدل إنتاج الحضارة العربية والإسلامية يرى فيه أن أوربا استفادت كثيراً من الجهود العلمية والفلسفية التي جاءت بها الدولة العباسية، ليس هذا فقط وإنما يرى أيضاً أن المسلمين هم الذين فتحوا عيون أوربا على الحضارة والفلسفة [3].

وفي مجال علم الكيمياء: يذهب هيكل إلى أن العرب عرفوا هذا العلم في القرن الرابع والخامس الهجري، وكتبوا مؤلفاتهم في هذه الفترة، والتي لم تصبح موضع إيمان الغرب إلا في القرون الأخيرة، فقام الغرب بترجمة هذه المؤلفات، وفي هذا يقول محمد حسين هيكل: «ولقد اتفق لي أن كنت أطالع في كتاب بالإنكليزية عن تاريخ الكيمياء، فكانت دهشتي عظيمة وأنا اقرأ في تاريخ الكيمياء عند العرب حين عثرت على نصوص عربية منقولة ترجمتها تتحدث بنفس اللغة التي يتحدث بها العلم الحديث عن طرائقه،

---

(1) محمد حسين هيكل، في أوقات الفراغ، الكتاب الثالث، انظر ص ٣٦٣، ٣٦٤.

(2) محمد حسين هيكل، ثورة الأدب، ص ٣٠، ٣١.

(3) محمد حسين هيكل، الشرق الجديد، انظر ص ٢٢٢، ٢٢٣.

"فالملاحظة، والتجربة، والتبويب، والمقارنة، واستنباط القوانين" من ذلك كله كان مما آمن به العرب في علمهم إيمان الغرب به في عمله، وأذكر أن هذه النصوص العربية ترجع إلى القرن الرابع أو الخامس الهجري، بينما هي لم تصبح موضع إيمان الغرب إلا في القرون الأخيرة»[1].

الفصل الثاني- موقف محمد حسين هيكل من الدين وبعض إشكالياته :

المبحث الأول- موقف هيكل من الدين:

مما تجدر الإشارة إليه أن محمد حسين هيكل قد تنقل بين مرحلتين بالنسبة لموقفه من الدين.

أما المرحلة الأولى بالنسبة له: فتتمثل في موقفه التغريبي، حينما استبعد فيه الدين من مجال النهضة، لأنه يعتبر أن الدين من أخطر معوقات النهضة.

أما المرحلة الثانية: فهي مرحلة الموقف المعتدل الذي ينقض فيه كل آرائه السابقة التي استبعد فيها الدين من مجال النهضة.

أولاً- موقفه التغريبي من الدين ومصدره .

في هذه المرحلة ينتقد هيكل الدين ولا يجعل له أي أثراً في النهضة؛ لأنه يرى أن الدين لا يؤدي إلى الألفة، أو الاتحاد والإخاء بين طوائف المجتمع وأفراده، بل يؤدي إلى التنافر والتنابذ والحروب فيما بينهم، وقد عبر عن هذا قائلاً: «كان الدين من أسباب الحروب في عصور كثيرة، وقد قامت الحروب الصليبية في القرون الوسطى باسم الدين، على الرغم من أن المسيح عليه السلام كان من أكبر دعاة السلام في العالم، ومن قبل ذلك قامت الإمبراطورية الإسلامية في أطوارها المختلفة على أسنة الرماح مع أن القرآن يقول: ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [2]، ومن الأسف أن هذه العقلية المنافية لتعاليم الأديان كلها ظلت عالقة بالنفوس»[3].

([1]) محمد حسين هيكل، ثورة الأدب، ص ٢٤٩.

([2]) سورة البقرة – الآية ٢٥٦.

([3]) محمد حسين هيكل، الشرق الجديد، ص ١٨٢.

ولكننا هنا نريد أن نوضح أن الإسلام لا يؤدي إلى التنافر والتنابذ والحروب، بل يؤدي إلى الاتحاد والألفة والتواد والتراحم بين طوائف المجتمع وأفراده، يقول تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١)، ويقول ﷻ: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٢)، كما أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف وأسنة الرماح، كما يرى هيكل وغيره ممن ساروا في هذا الاتجاه، فالإسلام سلام وأمن، وليس دعوة للحرب، بل الأكثر من ذلك أن محمد حسن هيكل يذهب إلى تفضيل مسلك غاندي فهو في رأيه دعا إلى الإسلام – وكفى به افتئاتاً على الإسلام عندما يقارن بين مسلك غاندي ومسلك الإسلام على هذا النحو.

يقول محمد حسين هيكل: «وإنما تؤدي تعاليم غاندي بطبيعتها إلى السلام؛ لأنها تقضي على أسباب الحرب والنزاع، ما كان صحيحاً منها، وما كان مفتعلاً لمجرد والدعاية وإثارة النفوس لخوض غمار الحرب»(٣).

ويمضي هيكل في موقفه هذا من الدين، فيذهب إلى أن الدين هو الذي أدى إلى تأخر الشعوب الإسلامية في عصور تدهورها(٤).

أما الموقف التحولي لمحمد حسين هيكل من الدين، والذي بدأ مع نهاية العشرينيات:

فإنه يغير فيه فكرته السابقة من أن الدين لا يؤدي إلى الألفة أو الاتحاد أو الإخاء بين طوائف المجتمع وأفراده، بل يؤدي إلى الحرب والتنافر والتنابذ، مؤكداً على أن الدين جهاد في سبيل السلام، وهو الذي وحد العرب بعد شتات، ودفعهم إلى إذاعة تعاليمه قائلاً: «الإسلام إذاً هو الجهاد في سبيل السلام: سلام الروح للفرد من طريق الرضا عن علم، وللجماعة من طريق التحاب في الله وبنور الله، وللإنسانية كلها من طريق الأخوة التي تدعو المرء ليحب لأخيه ما يحب لنفسه، ذلك هو الكمال الذي يدعو الإسلام إليه، وإلى

---

(١) سورة الحجرات – الآية ١٣.

(٢) سورة آل عمران – الآية ١٠٣.

(٣) محمد حسين هيكل، الشرق الجديد، ص ١٨٢.

(٤) محمد حسين هيكل، مذكرات في السياسة المصرية، ج١، دار المعارف، ط٢، ١٩٩٨م، ص ١٥٩.

الجهاد في سبيله»[1]، ويقول أيضاً: «والإسلام هو الذي وحد العرب بعد شتات، وجعل من قبائلهم المتنافرة أخوة، ودفعهم لإذاعة تعاليمه، وإعلاء كلمته، ودفع من يريدون فتنة الناس عنه»[2].

ثم يمضي محمد حسين هيكل في موقفه التحولي من الدين مؤكداً على أن الدين يدعو إلى مكارم الأخلاق، وإلى الإخاء بين بني الإنسان، وفي هذا يقول: «يأبى الإسلام أن يبلغ التفاوت بين بني الإنسان حتى ينكر بعضهم بعضاً ذلك أساسه في أمور الرزق، وهو أساسه في الحياة الروحية، فهو دين إخاء يرتفع بالإخاء إلى أسمى مراتبه، ويرى لذلك أن المرء لا يكمل إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه»[3].

ويوضح محمد حسين هيكل ذلك، فيذهب إلى أن الدين داع إلى الكمال، دافع إلى استدامة البحث للوصول إلى الحق؛ ليؤمن صاحبه به عن معرفة وازعه على عمل الخير، وتهذيب العواطف الدافعة له إلى غاية حدود التهذيب»[4].

ثم ينتقل محمد حسين هيكل إلى مرحلة أكثر اعتدالاً في موقفه من الدين، فيذهب إلى أن الدين بالغ في الدقة وفي النظام، ويقوم على أساس من المساواة الصحيحة، والتعاون الصادق، ذلك شأنه في أركان الإسلام جميعاً في صلاة الجماعة، وفي الصوم، وفي الحج»[5].

ثم يؤكد محمد حسين هيكل على ذلك بأن الإسلام لم يكن منذ اللحظة الأولى ديناً وعبادة وكفى، ولكنه سرعان ما كان ثقافة وحضارة[6]، وأنه دين يسر لا دين عسر[7].

---

(1) محمد حسين هيكل، في منزل الوحي، ص ٤٢٨.

(2) محمد حسين هيكل، الفاروق عمر ﷺ، ج١، دار المعارف، ط٧، ١٩٨١م، ص ١٠ المقدمة.

(3) محمد حسين هيكل، في منزل الوحي، الكتاب الرابع، ص ٤٠٩، ٤١٠.

(4) محمد حسين هيكل، ثورة الأدب، ص ١٠٣.

(5) محمد حسين هيكل، في منزل الوحي، الكتاب الأول، انظر ص ١١٨.

(6) محمد حسين هيكل، وجهة الإسلام "مقال في جريدة السياسة الأسبوعية"، ملحق العدد ٢٩٣١، ١٤ جمادي الثاني ١٣٥١هـ/ ١٤ أكتوبر ١٩٣٢م، ص ١.

(7) محمد حسين هيكل، في أوقات الفراغ، الكتاب الأول، ص ٢٤٤.

المبحث الثاني – موقف محمد حسين هيكل من إشكالية العلاقة بين الدين والعلم:

إن لهيكل موقفين من إشكالية العلاقة بين الدين والعلم موقف تغريبي في البداية، ثم تحولي في النهاية، وهذا ما سيتم عرضه في هذا المبحث إن شاء الله تعالى.

أولاً- موقفه التغريبي من العلاقة بين الدين والعلم :

يرفض محمد حسين هيكل أن يكون هناك صراعاً بين الدين في ذاته والعلم في ذاته، وإنما الصراع الحقيقي بين رجال الدين ورجال العلم، وقد عبر عن هذا قائلاً: «فإذا سمعت يوماً أن بين الدين والعلم خصومة فاقطع بادئ الرأي بأن الخلاف والخصومة ليس بين الدين والعلم، ولكنها بين رجال الدين ورجال العلم، وأن أساسها ليس في شيء من الدين لذاته، ولكنه في سعي كل من هاتين الطائفتين سعياً أنانياً صرفاً؛ ليكون بيدها الحكم والسلطان دون الأخرى»[1].

وبناءً على ذلك يخلص محمد حسين هيكل إلى نتيجة مؤداها أنه لا يوجد خصومة بين الدين والعلم، وإنما الخصومة بين رجال الدين ورجال العلم، وهي خصومة قديمة؛ لأنها خصومة على الاستئثار بالسلطة وبنظام الحكم قبل أن تكون لها أية غاية أخرى[2].

هذا هو مجمل رأي محمد حسين هيكل في العلاقة بين الدين والعلم، ولكن يمكننا القول أنه لا خلاف بين الدين والعلم، فالدين علم، والعلم يدعو إليه الدين، ولم يعرف تراثنا صراعاً بين الدين والعلم، ويكفي أن أول سورة نزلت في القرآن تحث على العلم ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [3]، وقوله تعالى: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [4]

---

(1) محمد حسين هيكل، الدين والعلم ورجال الدين ورجال العلم، مقال في جريدة "السياسة الأسبوعية"، العدد ١٤، السنة الأولى، ١٢ يونيه، ١٩٢٦م، ص ١.

(2) محمد حسين هيكل، الإسلام وسائر الأديان، مقال في جريدة "السياسة الأسبوعية"، العدد ٢٠، السنة الأولى، ١٤ محرم ١٣٤٥هـ/ ٢٤ يوليو ١٩٢٦م، ص ٥، محمد حسين هيكل، الدين والعلم ورجال العلم، مقال في جريدة "السياسة الأسبوعية"، العدد ١٣، السنة الأولى٣ يونيه، ١٩٢٦م ، ص ٥.

(3) سورة المجادلة – الآية ١١.

(4) سورة طه – الآية ١١٤.

فحقيقية نهضة الحضارة الغربية معتمدة على العلم، وهي تفصل بين العلم والدين فصل التعارض في الأفكار والسلوك والنشاطات، ولكن الحضارة الإسلامية في جوهرها تكفل للبشرية جميعاً أسباب السعادة الروحية والمادية من خلال التزاوج بين الدين والعلم[1].

ولذلك فلابد وأن ينتهي أمر العالم إلى تآخي العلم والدين على سنة القرآن والذكر الحكيم[2]، فالدين الكامل علم، وذوق، وعقل، وقلب، وبرهان، وإذعان فكر ووجدان[3].

ونحن المسلون أولى الناس باحترام "العلم، وتبني العلمية" في كل أمورنا، فالدين عندنا علم والعلم عندنا يدعو إليه الدين، ولم يعرف تراثنا صراعاً بين الدين والعلم كما عرفه الغرب الذي أدار رحى الحرب بينهما قروناً، ومعجزة نبي الإسلامﷺ لم تكن آية كونية تخضع لها الأعناق مقهورة، بل "آية علمية" تذعن لها العقول، وهي القرآن الكريم، فلما طلب مشركو العرب من النبيﷺ أن تكون له آية حسية كما كان للأنبياء من قبله[4] كان الرد الإلهي عليهم:﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[5].

ولذلك فهيكل يتحدث عن الصراع بين الجانبين في الغرب، وليس في البيئة الإسلامية.

ثانياً- موقف محمد حسين هيكل التحولي من العلاقة بين الدين والعلم:

يبدو لنا موقف هيكل التحولي من هذه الإشكاليات في نهاية العشرينيات، الذي نشره في كتابه "حياة محمدﷺ"، و"الشرق الجديد"؛ إذ يؤكد على أن الخلاق بين الدين والعلم يكون في الحضارة الغربية، حيث يكون الصراع بينهما على السلطة، أما الحضارة الإسلامية فتزاوج بين الدين والعلم؛ لأن الدين بغير علم كفراً، والعلم بغير دين تجريفاً، وقد عبر هذا قائلاً: «وإذا جاز أن يكون لهؤلاء العلماء المضلين مجال، حيث تقتتل الكنيسة والعلم على السلطان في الغرب، فلا مجال لهم في البلاد الإسلامية، حيث تزاوج الحضارة بين الدين والعلم، وحيث يكون الدين بغير علم كفراً والعلم بغير دين تجريفاً ولو أن العالم استظل

---

(1) أحمد زلط، الدكتور/ محمد حسين هيكل، بين الحضارة الإسلامية والغربية، دار الوفاء للطباعة والنشر في الإسكندرية، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٩٠.

(2)- محمد عبده، الإسلام بين العلم والمدنية، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م .ص ١٧٤.

(3) المرجع السابق، ص ١٧٣.

(4) يوسف القرضاوي،وجهاً لوجه الإسلام والعلمانية، دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص ٦٤.

(5) سورة العنكبوت – الآية ٥١.

بحضارة الإسلام على ما صورها القرآن، ولم تجن عليه فتوح المغول وغيرهم ممن دخلوا في الإسلام، ولم يعملوا بمبادئه، ولا عملوا على نشرها، بل اتخذوه وسيلة لحكم سواد المسلمين على مبادئ تناقض مبادئ الإخاء الإسلامي؛ لتبدل الأمر في العالم غير الأمر، ولنجت الإنسانية من كثير مما ترزخ اليوم تحته من أهوال الشقاء[1].

ولذلك كان بين العلم والدين من التعاون والتضامن ما رأى الإنسان ضرورته لسعادته في هذه الحياة الدنيا، وفيما بعدها [2].

الفصل الثالث – موقف محمد حسين هيكل من قضايا الحرية:

المبحث الأول – موقف محمد حسين هيكل من الحرية السياسية:

يقصد بالحرية السياسية أن تكون الأمة مصدر السلطات، ومن أهم الحقوق التي يجب أن تمنحها الأمة حتى تكون مصدراً للسلطات أن يكون لأفرادها عن طريق مباشر أو عن طريق ممثليهم الحق في اختيار الحاكم والحق في مراقبته ومحاسبته على أعماله[3].

ومن هنا فقد اهتم محمد حسين هيكل بهذه الإشكالية باعتبارها إحدى المقومات التي تشكل فلسفة النهضة.

موقف محمد حسين هيكل المعتدل من الحرية السياسية يرى هيكل أن الحرية الحقيقية هي المظهر الحقيقي للديمقراطية، ومن هنا فهو يدعو إلي تطبيق نظام الحكم الديمقراطي لما له من فوائد عدة أهمها:

١- إن الديمقراطية تسوي بين الأمم وبين الأفراد قويهم وضعيفهم، غنيهم وفقيرهم، يقول محمد حسين هيكل: «إن الديمقراطية تسوي بين الأمم الواحدة وبين الأفراد قويهم وضعيفهم، غنيهم وفقيرهم، ومع الأسف لا يزال الناس في أكثر الأمم رقياً يترددون دون الإيمان بهذا الواقع على أنهم سيؤمنون به عما قريب، ويومئذ تقوم علاقات الأمم على أساس المساواة والعدل، ويكون واجب الأمة القوية أن تأخذ بيد الأمة الضعيفة، وواجب الأمة المتعلمة أن تنشر العلم في الأمم التي لم تبلغ ما بلغت هي، وفي ذلك اليوم أعتقد أن فرنسا سترجع إلى تقاليدها القديمة، بل تجعل من علمها

---

(1) محمد حسين هيكل، حياة محمد، ص ٥٤٥.

(2) محمد حسين هيكل، الشرق الجديد، ص ٣٢.

(3) علي عبد الواحد، حقوق الإنسان في الإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط٦، ١٩٩٩م ص١٨٥.

وأدبها وفنها وسيلة لإسعاد هذه الشعوب، بل لإسعاد العالم كله»[1].٢- إن الديمقراطية هي التي أنقذت اليونان من غزوات الفرس، وكانت سبباً في ظهور أثينا بين أمم اليونان، وكبرت مكانتها، واعترف لها بالفضل على كل المدائن الأخرى[2].

٣- فائدتها المعنوية أثناء الحرب، وذلك لأن الذين ذهبوا إلى ميادين القتال والذين بقوا وراء الخطوط والقواعد في منازلهم، كانوا يشعرون بأنهم يدافعون عن كيانهم حين يدافعون عن كيان الدولة ، فهو جزء من هذه الدولة يتمثل فيه سلطانها ومجدها وكرامتها، [3].

٤- ومن فوائد الديمقراطية عند هيكل أنها الوسيلة الوحيدة لتقدم وقوة الأمم، فالأمم التي كانت متأصلة الديمقراطية هي التي استطاعت أن تقاوم وتنتصر أثناء الحرب، يقول محمد حسين هيكل في ذلك: «أما الديمقراطية كنظام، فما تزال نادرة، وما يزال إيمان الناس بها ثابتاً متأصلاً في غور نفوسهم، ولا سبيل إلى غير هذا بعد أن أثبتت الديمقراطية مدى أجيال متعاقبة قبل الحرب أنها الوسيلة الوحيدة للنظام والتقدم والضمان الأكيد لتضامن الأمم وقوتها، ويكفي أن نذكر أن الأمم التي كانت الديمقراطية متأصلة ثابتة الأساس ممتدة النفوذ فيها هي وحدها التي استطاعت أن تقاوم وأن تنتصر أثناء الحرب...، وأما الأمم التي لم تأخذ بمبادئ الديمقراطية ورضيت الحكم الأوتوقراطي أو ما يشبهه، فانهزمت أثناء الحرب، وأصاب أكثرها الاضطراب والخراب بعده»[4].

ومن هنا فإن هيكل يرى أن تطبيق نظام الحكم الديمقراطي يحقق على الأرض السلام والحرية والإخاء والمساواة[5].

---

(1) محمد حسين هيكل، الدستور المصري والدستور الفرنسي الجديد بين نظرية المجلس الواحد والمجلسين، مقال في مجلة "السياسة"، العدد ٥٠٩، السنة ٢٤، ٢٥ شعبان ١٣٦٥هأ/ ٢٤ يوليو ١٩٤٦م، ص ٣.

(2) محمد حسين هيكل، في أوقات الفراغ، الكتاب الأول، انظر ص ١٨٥.

(3) محمد حسين هيكل، الديمقراطية هل أفلست، مقال في السياسة الأسبوعية، العدد الثاني، السنة الأولى، ٦ رمضان ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، انظر ص ٤.

(4) محمد حسين هيكل، الديمقراطية هل أفلست، ص ٤.

(5) محمد حسين هيكل، الديمقراطية هل أفلست، ص ٤.

الموقف المعتدل لهيكل من الحرية السياسية : إن لمحمد حسين هيكل موقفاً آخر أكثر اعتدالاً من قضية الحرية السياسية يرى فيه أن كل نظام لا يقوم على أساس من حرية الفرد، وتضامن من الجماعة، وحق الشعب في حكم نفسه عن طريق المناقشة الحرة، والانتهاء إلى رأي الأغلبية، كل نظام لا يقوم على أساس من هذه المبادئ التي تدعو الديمقراطية إليها، لا يتفق والقواعد الأساسية التي قررها الإسلام ودعا إليها ولا يتفق، وواجب المسلم في التمسك بقواعد دينه والدفاع عنه[1].

ومن ثم فإن محمد حسين هيكل يؤكد على أن الإسلام والديمقراطية يتجهان جميعاً وجهة مشتركة، ويرميان إلى غاية واحدة: "سعادة الإنسانية وأمنها، وسلامتها وهما يعتمدان في اتجاههما، وفي تحقيق غايتهما على توجيه الفطرة الإنسانية توجيهاً يسمو بها على حكم الهوى، ويجنبها نزغ الشهوات[2].

ويؤكد على ذلك بقوله: «ولا عجب، واتجاه الإسلام والديمقراطية واحد، وغايتهما وطريقتهما في الاعتماد على الفطرة الإنسانية، وتوجههما إلى الكمال متحدة..، لا عجب أن يلتقيان في الأمور الجوهرية جميعاً، مما يتصل بشئون الحياة، ثم لا عجب بعد ذلك أن تقصد الأمم الإسلامية في عصرنا الحديث إلى النظام الديمقراطي، تتخذه أداتها للسعادة الإنسانية وللأمن والسلام..، ولا عجب في أن تدافع عنه بكل قوتها، لا تدخر في هذا الدفاع وسعاً، ولا ترضى عن النظام الديمقراطي بديلاً»[3].

ويقول أيضاً: «وهذه القواعد التي تقررها الديمقراطية الحديثة هي بعينها القواعد التي يقررها الإسلام»[4].

---

(1) محمد حسين هيكل، الحكومة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، ط٢ ، ١٩٩٠م.، ص٨٩، ٩٠.

(2) المرجع السابق، ص ١١٥.

(3) المرجع السابق،، ص ١١٦.

(4) المرجع السابق، ص ٩٧.

المبحث الثاني – موقف محمد حسين هيكل من الحرية الاجتماعية:

الحرية الاجتماعية هي استطاعة الفرد أن يفعل ما يريد في حدود القانون، ودون أن يسيء إلى غيره في إطار نظام المجتمع وحقوق الآخرين[1].

ومن هذا التعريف نستطيع أن نقول إن الحرية الاجتماعية تعني أن يعبر الإنسان عن رأيه في القضايا الاجتماعية التي تطرح داخل المجتمع الذي نعيش فيه.

ولذلك فهي من أهم الحريات التي اهتم بها محمد حسين هيكل ، والتي تتمثل في مجموعة القضايا المتصلة بها مثل:

"حرية المرأة، وعمل المرأة، والحجاب، والسفور، وتعدد الزوجات، والطلاق، وتعليم المرأة".

وسنحاول في هذا المبحث الحديث عن هذه القضايا التي تتعلق بالحرية الاجتماعية موضحين موقف محمد حسين هيكل العلماني من هذه القضايا، ثم موقفه المعتدل.

أولاً- الموقف التغريبي:

يرى هيكل أن الحرية هي أساس الفضيلة، فكل ابتعاد عنها وميل إلى أي طريق من طرق العبودية مثار لرذائل شتى، وكلها تغلغل الإنسان بين وسائل الرق وطرائقه زاد حظه من الرزيلة[2].

ولذلك فهو يدعو إلى حرية المرأة قائلاً: «ونحن نحسب مع ذلك أن خير ما يضمن تطور المرأة إلى الخير أن تربى حرة مطلقة الإطلاق كله»[3].

ويؤكد على ذلك بقوله: «لن تكون المرأة زوجة صالحة وهي من رجلها بمنزلة العبد من السيد، فإن فناء الإنسان في شخص آخر دليل على حقارته أمام ذلك الشخص، ولا سعادة مع الذلة والحقارة، وإذن أقول ويملئ فؤادي الأسف إن الزوجة الصالحة نادرة الوجود في مصر، وإنما توصف بهذا الوصف من الزوجات امرأة ذلول لا ترد لزوجها

---

(1) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة المصرية لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٧١ مادة "حرية".

(2) محمد حسين هيكل، المرأة والحجاب، مقال في جريدة "الجريدة، ٢٩ رمضان ١٣٢٦هـ/ ٢٤ أكتوبر ١٩٠٨م، ص ٢.

(3) محمد حسين هيكل، جان جاك روسو، حياته وكتبه، الجزء الأول والثاني، دار المعارف، ط٤، ١٩٩٠م، ص٢٥١.

قولاً، ولا تعصي له أمراً، هو السيد الحاكم، وهي آلة في يده يكرمها متى شاء، ويعرض عنها إذا أراد، يأخذ منها أضعاف حقه بالقوة، وتنال بعض حقها بالخضوع والتذلل، وما أحسب ذلك زوجة صالحة بعد تجردها عن الإنسانية الصحيحة بذلك الخضوع المشين»[1].

ويتعرض محمد حسين هيكل لقضية عمل المرأة، فيدعو إلى خروج المرأة للعمل؛ لأنه يرى أنه لا توجد أمة حية لا يشتغل فيها الرجل والمرأة، يقول في ذلك: «إنا نخطئ كثيراً في تقدير قوانا جماعة الرجال إذا حسبنا أننا نستطيع وحدنا إقامة بنيان الأمة غير تاركين للمرأة إلا وظيفة الإنتاج، وحفظ الحياة على الصغير، ونكون مغرورين إلى أسفل درك الغرور إذا جال بأحلامنا أن ذلك العالم الذي نكونه وحدنا يحوي شيئاً من الخير والكمال، ونخرج من الغرور إلى الحمق حين نعد تحرير المرأة، وإعطاءها نصيباً أوفى من العمل في الوجود شراً يجر ورائه نتائج لا تحمد، محال أن تتكون أمة حية لا يشتغل فيها العنصران كتفاً لكتف، وما الرجل والمرأة إلا السالب والموجب في الكهرباء إن لم يتماسكا عدما، وكلما زاد في التماسك زاد قوة وانتاجاً»[2].

أما عن موقفه من قضية الحجاب والسفور، فيدعو محمد حسين هيكل إلى سفور المرأة؛ لأنه يرى أن السفور هو الذي يؤدي إلى التقدم والنهضة، يقول في ذلك: «فالسفور يقدمنا خطوات مقدار ما أوقفنا الحجاب، ولا يأتي بقليل ولا بكثير مما يتخوفون، وإني لشيق لذلك اليوم الذي ترفع مصر فيه رأسها مفاخرة بماض لا يعرف الدهر أوله، وحاضر جليل إن كان كل الشر الذي فيه نافهاً، كالذي يصورون»[3].

ويمضي محمد حسين هيكل في موقفه العلماني من حجاب المرأة؛ إذ يؤكد على أن سفور المرأة هو أساس الفضيلة، والحجاب هو أساس الرذائل والدنايا، ووسيلة من وسائل الرق، وسجناً للمرأة، يقول في ذلك: «الحرية أساس الفضيلة، فكل ابتعاد عنها وميل إلى أي طريق من طرق العبودية مثار لزائل شتى، وكلما تغلغل الإنسان بين وسائل الرق وطرائقه زاد حظه من الرزيلة، فحجاب المرأة قمع لحريتها، وقتل لكل عواطف

---

(1) محمد حسين هيكل، الزوجة، مقال في جريدة "الجريدة"، العدد ٥١٠، السنة الثانية، ١٦ شوال ١٣٢٦هـ/ ١٠ نوفمبر ١٩٠٨م، ص ٢.

(2) محمد حسين هيكل، قضية المرأة "الحجاب"، مقال في جريدة "الجريدة"، العدد ١٠٤٤، السنة الرابعة، ٨ شعبان ١٣٢٨م، ١٤ أغسطس ١٩١٠م، ص ١.

(3) المرجع السابق، ص ٢.

الفضيلة فيها، ومنبت خصيب للدنايا..، سائل المرأة كيف ترضى، وهي إنسانة حرة عاقلة حساسة، يثير الجمال في نفسها عواطف الرحمة والحنان، كيف ترضى بالسجن والتحجب عن كل جمال أبدعه الله؛ ليمنع به الخليقة»[1].

ليس هذا فحسب، بل يذهب محمد حسين هيكل إلى أن حجاب النساء هو أقوى العوامل في ضعف الأخلاق، وقد عبر عن هذا قائلاً: «تاريخ عظمائنا غامض، حتى لا يقف الأبناء منه على شيء، وغير ذلك من مقدمات حياتنا الأدبية كلها، إما مفقود أو ناقص نقصاً شائناً، نحس به ونراه بأعيننا، والسبب في كل ذلك واحد غير متعدد، السبب الذي جاء بكل هاته النتائج، وقضى علينا هذا القضاء القاسي، وكان أقوى العوامل في ضعف الأخلاق هو حجاب النساء»[2].

وينحو محمد حسين هيكل منحى أكثر علمانية، فيذهب إلى أن الحجاب شر وفساد، ورق وعبودية، يقول في ذلك: «الحجاب شر على شر، وفساد على فساد، رق وعبودية، وهوان، فنتركه يعوضنا الله خيراً منه ذروة لا تدعو لقائل ينادي باستبداد وغلوكم في الشرود سيروا جميعاً سيراً حثيثاً إلى السفور في كل أموركم، وانهضوا إلى الشجاعة والحرية»[3] ، كما يرى هيكل أن الحجاب إما سجن في الدار، فلا يصح للمرأة.. أن تمنى نفسها برؤية القضاء العظيم، حيث تتجلى قوى الله العالية في أبدع مظاهرها..، تقضي المرأة في هذا الدار ريعان شبابها، وأيام نضارتها، لا تعرفهما وراء بابها، فلا يراهما سجن الأربعين حتى تجد جسماً مستعداً للعلل، ووجهاً شاحباً نحيلاً..، وإما ستار أسود تلتف به المرأة ساعة خروجها من بيتها، ولقد أبدع نسوة اليوم في تمليق ذلك الستار، حتى لم يبق حجاباً، بل صار آلة للتهتك تستجلب به المرأة أنظار الغواة من إخوان الشياطين من بني الإنسان، صار هذا الحجاب أدعى؛ لأن يسمى تهتكاً..، ويقرر محمد حسين هيكل أن ذلك الحجاب بنوعيه داء عياء استحكم في الأمة، فجعل يهدم من بنائها الشامخ كل فساد، ومع ذلك يقوم له أنصار يعززونه، لا بالحجة والبرهان، وإنما

---

(1) محمد حسين هيكل، المرأة والحجاب، مقال في جريدة "الجريدة، ٢٩ رمضان ١٣٢٦هـ/ ٢٤ أكتوبر ١٩٠٨م، ص ٢.

(2) محمد حسين هيكل، قضية المرأة "الحجاب"، مقال في جريدة "الجريدة"، العدد ١٠٤٤، السنة الرابعة، ٨ شعبان ١٣٢٨م، ١٤ أغسطس ١٩١٠م، ص ٢.

(3) محمد حسين هيكل، حجاب المرأة، مقال في جريدة "الجريدة"، ص ٣.

يؤثر في أنفسهم ما وجدوا عليه آباءهم»[1]، كما يؤكد محمد حسين هيكل على أن التأخر في الزواج والتعاسة الزوجية أساسها الحجاب، يقول محمد حسين هيكل: «الذنب في هذه، كما هو في غيرها على الحجاب، وما كنا لنقاسي في بلاد مخصبة كبلادنا شيئاً من هذا لو سفرت المرأة، ولم تكن في هذا الموقف المشين موقف المحجبة..، في غير مصر اضطراب عن الزواج؛ لأسباب لا تصح عندنا، ولكن السبب الوحيد أو الذي يكاد يكون وحيداً هو عجز الشباب عجزاً مطلقاً عن أن يختار، وعيناه مفتوحتان، وقلبه راض مرتاح، ونفسه مطمئنة»[2].

ويتعرض محمد حسين هيكل إلى قضية تعدد الزوجات، فيرى أن تعدد الزوجات شقاء على الزوج والزوجة والأطفال، وله أضرار عدة منها: "الأضرار المادية"، ويؤدي إلى فساد الصلات بين العائلات، وإلى الخداع والختل والميل للشرور، وقد عبر عن هذا قائلاً: « هذا الشقاء الذي يجلبه تعدد الزوجات لا يقتصر على التعدي على نفوس الكبار فقط من مكوني الأسرة نفوس أولئك الذين يميزون بين الخير والشر والسعادة والشقاء، ولكن يمتد بدرجة رفيعة إلى نفوس الأطفال..، حيث يتشاجر أخوان متقاربان في السن، فيضرب أحدهما الآخر حتى يبكيه، فلا يكون أسرع من أم المضروب، تنتقم له من أخيه الصغير، ويفرح الولد أولاً، حيث ثأرت له أمه، ويسكت بعد بكائه، ولكنه إذا رأى صاحبه يبكي أجهش بالبكاء، وأخذته الشفقة إن كان شريراً، حيث يقابل الشر بالشر، لا يلبث أن تعود له طبيعته، فيظهر أثر ذلك عليه، فتجاهد أمه لإخفاء ذلك الأثر وإماتة عاطفته بالنيل من أخيه وتوعده إن عاد عادت إلى قسوتها، وهكذا..... إذا كنا لا نقدر ما يجليه تعدد الزوجات من الضرر المالي، أو من إفساد الصلات بين العائلات مهما كان ذلك شديداً، فلا يمكننا أن نستهين بما يجلبه على الأنفس من الفساد دوماً يزيد فيها من عادات الخداع والختل والميل للشرور على اختلاف أنواعها، وليس يبعد عنا هذا الفساد الاجتماعي، إلا كبح جماح النفس والنظر إلى الأمام ولو قليلاً»[3].

---

(1) محمد حسين هيكل، حجاب المرأة، مقال في جريدة "الجريدة"، ص ١.

(2) محمد حسين هيكل، قضية المرأة "الحجاب"، مقال في جريدة "الجريدة"، العدد ١٠٥٠، السنة الرابعة، ١٦ شعبان ١٣٢٨م، ٢١ أغسطس ١٩١٠م، ص ١؛محمد حسين هيكل، الزوجة، مقال في جريدة "الجريدة"، ص١.

(3) محمد حسين هيكل، تعدد الزوجات، مقال في جريدة "الجريدة"، العدد٦٩٥، السنة الثالثة، ٤ جمادي الثاني ١٣٢٧هـ/ ٢٢ يونيه ١٩٠٩م، ص ١، ٢.

ويمضي محمد حسين هيكل في موقفه العلماني من قضية تعدد الزوجات، فيذهب إلى أن تعدد الزوجات لا مبرر له من دين أو علم أو خلق، ولا أساس له إلا الشهوات والأطماع الفاسدة، يقول في ذلك: «هذا الداء الذي تفشي في مفاصل الأمة اليوم لا مبرر له من دين أو علم أو خلق، ولا أساس له إلا الشهوات والأطماع الفاسدة، وليس في منعه ما يعارض قانوناً، أو يمس نظاماً، ولكن منعه فيه كل الخير، فيه أن يرجع البؤس خطوة أوغلوا بها في الشر؛ ليسروا في الطريق الطبيعي المستقيم، ويعرفوا معنى الحب والإخلاص....، إنما يظهر تماسك الأمة وتتجلى قوتها إذا سعت في إبطال بدعة أو عملت للقضاء على شر ينخر في عظامها، وإذا بعض ما تريده الأمة مما هي متفقة في المطالبة به في يد الحكومة وعزرها في عدم الحصول عليه أن الحكومة لا تعطي منها هي العادات تغير فيها، وتبدل على ما تشاء، ها-هي الأدوار الاجتماعية تحتاج إلى السعي والمجاهدة ؛ لاجتثاثها من أصولها واقتلاعها، حتى لا يبقى لها أثر، ولا تحتاج الأمة إلى قانون تسنه الحكومة أو ضريبة تفرضها، ولكنها تحتاج إلى عزيمة ماضية وحمية تحثها على العمل لخيرها، وأن أحسن الأشياء وأثبتها على الأيام ما عملته الأمة لخير الأمة»[1].

ثانياً – موقف محمد حسين هيكل التحولي من الحرية الاجتماعية :

فيذهب إلى أن المرأة كانت تتعامل قبل الإسلام معاملة غير كريمة، وأن مكانتها كانت أقرب إلى مكانة الرقيق، ويضرب لنا مثالاً على ذلك بأن وارث رب البيت أباً كان أباً أو أخاً أو ابناً، كان من حقه أن يذهب إلى الأرملة، فيلقي عليها رداءه ويمهدها فتصبح له زوجاً كما كان له أن يزوجها من غيره إذا شاء ويقبض مهرها[2].

وحينما جاء الإسلام رفعها إلى مقام الكرامة، وجعلها مساوية للرجل أمام الله، وفضل الرجل عليها بما أنفق من ماله وما عاملها بالمعروف، وجعل صلته بها صلة مودة ورحمة[3].

ويؤكد على ذلك بقوله: «لم تتقرر المرأة حقوق في حضارة العالم ما قرره لها الإسلام..، جعل للناس مثل الذي عليهن بالمعروف، وجعل للرجال عليهن درجة مقابل ما ألقى على الرجال من أعباء أعفى النساء منها المرأة المسلمة حرة حرية الرجل..، حرة

---

(1) المرجع السابق ، ص ٢.

(2) محمد حسين هيكل، الفاروق عمر، ج١، ص ٢١٩.

(3) محمد حسين هيكل، الفاروق عمر، ج٢، ص ١٢.

في ذاتها..، حرة في معاملاتها..، يجب لها من احترام الرجل مثل ما يجب للرجل من احترامها، لا يملك الرجل من أمرها إلا ما يوحيه هذا الاحترام، وهذه الحرية في حدود مصلحة الأسرة ومصلحة الجماعة[١].

أما عن موقفه من قضية عمل المرأة: فيذهب محمد حسين هيكل إلى أن وظيفة الأمومة هي الوظيفة الطبيعية للنساء[٢].

ويفضل محمد حسين هيكل ذلك بأن واجب المرأة أن تعني أيام تعليمها، وفي كل أيام حياتها زيادة على معلوماتها المشتركة بينها وبين زوجها بمعرفة أحسن الوسائل لتربية الأطفال وتدبير المنازل عناية تكون أضعاف عناية الرجل[٣].

أما عن موقفه من قضية الحجاب والسفور: فيرى أن تبرج المرأة هو السبب في عناية الشباب من ناحية والوقوع في الزنا من ناحية أخرى[٤].ويتعرض محمد حسين هيكل لقضية تعدد الزوجات، فيذهب إلى أن تعدد الزوجات لا يقع إلا لحاجة ماسة[٥].

ويوضح ذلك بأن الإسلام قرر حق الإرث الذي أنكرته عليها الجاهلية وحد ما كان مطلقاً من تعدد الزوجات، فقصره على أربع، ثم أثر الزوجة الواحدة إن ضيف عدم العدل[٦].

ثم ينتقل محمد حسين هيكل إلى قضية الطلاق، فيؤكد على أن الأسرة هي الحجر الأول في بناء الجماعة الإسلامية، لكن الأسرة الإسلامية تقوم على أساس المودة والرحمة، ولا تقوم على أساس جامد من الإكراه الذي يشقى به الناس، فإذا أضيف الشقاق بين الشريكين الذين يكونانها -الزوج والزوجة- وجب العمل على إزالة هذا الشقاق، فإن أمكنت إزالته فذاك وإلا افترق الزوجان على ما في ذلك من مضرة هي دون مضرة الحياة القائمة على أساس من الشقاق، ولهما أن يتراجعا ليعيدا للأسرة كيانها»[٧].

---

(١) محمد حسين هيكل، الحكومة الإسلامية، ص ١٣٩؛ محمد حسين هيكل، الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة، دار الهلال، (د.ت)، ص ٢٤، ٢٥.

(٢) محمد حسين هيكل، جان جاك روسو، حياته وكتبه، ج٢، ص ٢٤٤.

(٣) محمد حسين هيكل، الزوجة، مقال في جريدة "الجريدة"، العدد ٥١٠، السنة الثانية، ١٦٤ شوال ١٣٢٦هـ/ ١٠ نوفمبر ١٩٠٨م، ص ١.

(٤) محمد حسين هيكل، حياة محمد، ص ٣٥٦.

(٥) محمد حسين هيكل، الحكومة الإسلامية، ص ٥٣.

(٦) محمد حسين هيكل، الفاروق عمر، ج٢، ص ٢٢٨.

(٧) محمد حسين هيكل، الحكومة الإسلامية، ص ٥٣، محمد حسين هيكل، الإمبراطورية الإسلامي والأماكن المقدسة، ص ٣٥.

الخاتمة

وفي الختام أحمد الله تبارك وتعالى على التمام، وأحمده سبحانه بما يسر وأعان، وقد خلصت في هذا البحث إلى ما يلي:

١- يبدو تأثر هيكل في موقفه التغريبي من التراث بمفكري الغرب الذين رفضوا التراث، وذهبوا إلى أنه من معوقات النهضة الحديثة أمثال "بندتوكروتشي، ومونتسكيو، ولولتير، وسارتر، ورسو.

٢- يبدو تأثر هيكل في موقفه المعتدل من التراث بمفكري عصر النهضة الذين اتخذوا التراث الإسلامي أساساً لقيام نهضة أوروبية ولم يتخلوا عنه.

٣- تأثر هيكل في موقفه التغريبي من نتاج الحضارة الإسلامية والعربية ببعض دعاوي المستشرقين أمثال (جوييو، وأرنست رينان، وليون جوتييه، وماكدونالد التي أثيرت حول عدم قدرة العقلية العربية على الإبداع العلمي والابتكار، وذلك لانتمائها إلى العقل السامي.

٤- أكد هيكل في موقفه المعتدل من إنتاج الحضارة العربية والإسلامية أن العرب كانوا أكثر مدنية من الأمم الأخرى .

٥- لقد وقف هيكل من الدين موقفاً نقدياً، واعتبروه من أخطر معوقات النهضة؛ إذ يقتل حرية الفكر عن طريق التقاليد الموروثة التي يفرضها على معتنقيه، وهم بذلك متأثرون بدعاة التنوير الأوروبي أمثال:(منتسيكو،وفولتير، وديدرو،وهولباخ).

٦- تراجع هيكل عن موقفه التغريبي من الدين ، ويؤكد على أن الدين من أفضل الوسائل، وأقوى العوامل التي تسوق الإنسان في طريق التقدم والنهضة.

٧- يعد موقف هيكل التغريبي من إشكالية العلاقة بين الدين والعلم امتداداً لموقفه التغريبي من الدين، فمع أنه يقر بدوره الفعال في الاجتماع الإنساني، إلا أنه يقصر دوره على الاطمئنان الروحي والاتساق الطبيعي للتكوين الإنساني الذي يستوعب العقل والشعور معاً.

٨- تراجع هيكل عن موقفه التغريبي من إشكالية العلاقة بين الدين والعلم وذهب إلى أن الخلاف بين الدين والعلم كان في الحضارة الغربية، أما الحضارة الإسلامية فهناك تزاوج بين الدين والعلم؛ لأن الدين بغير علم قد يؤدي إلى الكفر والعلم بغير دين يعتبر تجديفاً.

٩- يبدو تأثر هيكل في موقفه التغريبي من الحرية السياسية بأستاذه أحمد لطفي السيد، الذي أشاد بالنظام الديمقراطي كأسلوب للحكم وعدم تعارضه مع مبدأ الشورى الإسلامية بل إن نظام الحكم الديمقراطي يحقق على الأرض الحرية، والسلام، والإخاء، والمساواة، وأكثر أبعاداً وأوفى شمولاً من الشورى.

١٠- تراجع هيكل عن موقفه التغريبي من الحرية السياسية وأكد على أن القواعد التي تقررها الديمقراطية الحديثة هي بعينها القواعد التي قررها الإسلام .

١١- أكد هيكل في موقفه التغريبي من الحرية الاجتماعية على ضرورة تربية المرأة تربية حرة مطلقة كما دعا إلى سفورها لأنه يرى أن السفور يؤدي إلى التقدم وأن الحجاب هو أساس الرذائل والدنايا وأقوى العوامل في ضعف الأخلاق.

١٢- تراجع هيكل عن موقفه التغريبي من الحرية الاجتماعية وأكد فيه على أن المرأة كانت تعامل قبل الإسلام معاملة غير كريمة وحينما جاء الإسلام رفعها إلى مقام الكرامة، وجعلها مساوية للرجل أمام الله، وأن تبرج المرأة هو السبب في معاناة الشباب من ناحية والوقوع في الزنا من ناحية أخرى .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص.

أولاً المصادر والمراجع:

١- أحمد زلط، الدكتور، محمد حسين هيكل، بين الحضارة الإسلامية والغربية، دار الوفاء للطباعة والنشر في الإسكندرية، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م .

٢- حسين فوزي النجار، هيكل وحياة محمد، منهج في دراسة التاريخ الإسلامي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م .

٣- علي عبد الواحد، حقوق الإنسان في الإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط٦، ١٩٩٩م

٤- علي خليل أبو العينين، أصول الفكر التربوي الحديث بين الاتجاه الإسلامي والاتجاه التغريبي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م .

٥- مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة المصرية لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م .

٦- محمد حسين هيكل، الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة، دار الهلال، (د.ت).

٧- محمد حسين هيكل، ثورة الأدب، مطبعة السياسة، القاهرة، ١٩٣٣م .

٨- محمد حسين هيكل، جان جاك روسو، حياته وكتبه، الجزء الأول والثاني، دار المعارف، ط٤، ١٩٩٠م .

٩- محمد حسين هيكل، الحكومة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، ط٢ ، ١٩٩٠م.

١٠- محمد حسين هيكل، حياة محمد، دار المعارف، ط٩، ٢٠٠٢م .

١١- محمد حسين هيكل، الشرق الجديد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م .

١٢- محمد حسين هيكل، الصديق أبو بكر ﷺ، دار المعارف، مصر، ط٨، ١٩٧٩م .

١٣- محمد حسين هيكل، الفاروق عمر ﷺ، ج١،ج٢، دار المعارف، ط٧، ١٩٨١م .

١٤- محمد حسين هيكل، في أوقات الفراغ، الكتاب الأول، المطبعة العصرية، (د.ت).

١٥- محمد حسين هيكل، في منزل الوحي، دار المعارف، ط٩، ٢٠٠٢م .

١٦ - محمد حسين هيكل، مذكرات في السياسة المصرية، ج١، دار المعارف،ط٢، ١٩٩٨م.

١٧- محمد عبده، الإسلام بين العلم والمدنية، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م .

١٨- محمد عمارة ، الاستقلال الحضاري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥م .

١٩- محمد عمارة، فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.